مدينة حمام الزريبة بين استقطاب حاضرة تونس وتأطير بلدية الزريبة:
نحو تراب إبداعي

[The city of Hammam el-Zriba between the polarization of the metropolis of Tunis and the supervision of Zriba commune: towards a creative territory**]**

Yassine Halouani[1], Mahrez Daoud[2], Mohamed Halouani[3]
[1]University of Carthage/the Higher Institute of Fine Arts Nabeul,Nabeul, Tunisia
yassine.halouani@isban.ucar.tn
yassine.halouani@isban.u-carthage.tn

[2]University of Tunis/Faculty of Humain and Social Sciences, Tunis, Tunis, Tunisia
mahrez.d77@gmail.com

[3]the Ministry of Cultural Affairs/ the House of Culture, Hammam el-Zriba,
Hammam el-Zriba, Zaghouan, Tunisia
mohamedhalouani@gmail.com

ABSTRACT: This study stems from the presence of Hammam el-Zriba as a small city standing between the the alluring attraction of Greater Tunis and the task undertaken since 2018; that is of supervising the territory of el-Zriba commune. Based on the concept of territorial development, this research displays a project for the development of this city and its commune as a creative territory by monitoring and exploring its own local creative resources and initiatives and providing with directions, proposals and means for voluntary mobilization that is capable of not only enhancing these resources and initiatives in order to be at the essence of the development of this city and its territory but also providing it with an equal connection with the metropolitan solidarity area of Greater Tunis and the Sahel.

The article displays in its first chapter the general profile of the city and its communal territory and their status in the territory planning tools based on an inventory of these documents. Then, the second part of this work presents the local resources and creative initiatives monitored in the city of Hammam el-Zriba and its territory based on a field of research, to conclude in its last chapter with providing a guiding document presenting directions, basics and operational tools for the development project of Hammam el-Zriba and its commune as a creative territory.

KEYWORDS: territorial development, territorial identity, creative resources and initiatives, creative industry, local governance

ملخص: ينطلق هذا البحث من وجود مدينة حمام الزريبة كمدينة صغيرة بين ضغط استقطاب تونس الكبرى واضطلاعها منذ 2018 بمهمة الإشراف على تراب بلدية الزريبة،

ويقدم مشروع لتنمية هذه المدينة وبلديتها، بالاستناد لمفهوم التنمية الترابية، كتراب إبداعي وذلك من خلال رصد واستكشاف مواردها ومبادراتها الإبداعية المحلية الخصوصية وتقديم التوجهات والمقترحات وأدوات التعبئة الإرادية التي من شأنها أن تدفع هذه الموارد والمبادرات لتكون محرك تنمية المدينة وترابها وتمنحها فرصة الوصل المتكافئ مع منطقة التضامن الحوضري لتونس الكبرى والساحل.
ويرسم المقال في مبحث أول الملمح العام للمدينة وترابها البلدي ومنزلتها في أدوات التهيئة الترابية بالاعتماد على جرد لهذه الوثائق، ثم يقدم في مبحث ثان مجموع الموارد والمبادرات الإبداعية المرصودة في مدينة حمام الزريبة وترابها بالاستناد لبحث ميداني، ليخلص في مبحث ثالث، عبارة عن وثيقة توجيهية، لطرح التوجهات والركائز والأدوات العملياتية لمشروع تنمية حمام الزريبة وبلديتها كتراب إبداعي.
كلمات دلالية: تنمية ترابية، هوية ترابية، موارد ومبادرات إبداعية، صناعة إبداعية، حوكمة محلية

مقدمة:

ينطلق هذا البحث من معاينة مفادها وجود مدينة حمام الزريبة الكائنة بولاية زغوان، كمدينة صغيرة، بين حقيقتين متباينتين، فهي من جهة تقع ضمن منطقة التضامن الحوضري لتونس العاصمة وتحت وطأة تأثير استقطابها، الذي يشمل أيضا عاصمة ولايتها (زغوان)، وهي من جهة ثانية تضطلع منذ 2018 بمهمة الإشراف وتأطير تراب بلدية الزريبة.
يحاول المقال، وبالاستناد لمفهومي التنمية الترابية والصناعات الإبداعية، أن يطرح مشروع مستقبلي لمدينة حمام الزريبة يقدم أهم التوجهات التي من شأنها أن تمكن المدينة، من جهة، من استكشاف الموارد الذاتية الإبداعية والثقافية لترابها البلدي، وآليات إبرازها وتثمينها، ومن جهة ثانية، وفي تفاعل مع الأولى، تحديد الاختيارات ذات الطابع الإرادي التي تفسح المجال للمدينة وترابها البلدي للتفاعل الإيجابي وبناء أسس ذاتية جديدة، كتراب إبداعي، داعمة للوصل المتوازن مع منطقة التضامن الحوضري لتونس الكبرى والاستفادة منها بأفضل السبل.

ويستند البحث إلى نتائج الأشغال التالية:**(1)- تحقيق ميداني:** يغطي كامل تراب بلدية الزريبة ويتعلق بالموارد والمبادرات الإبداعية (تراثية ومعاصرة)، الممكنة من مهارات ومعارف وتقنيات ومبتكرات فلاحية وعلاجية ومواقع ذاكرة ومشاهد مميزة ومؤسسات ومبادرات مجتمعية... **(2)- مسح وثائقي:** يشمل كل وثائق التخطيط والتنمية والتهيئة الترابية والتهيئة العمرانية، على الصعيد الوطني والجهوي والمحلي، ذات الصلة، وتفحص ما تنص عليه فيما يتعلق بمدينة حمام الزريبة وبلديتها.

ويرتكز البحث بالأساس إلى مفهوم التنمية الترابية المتمثل في: **"[...] مسار تعبئة الفاعلين المنتظمين في تراب يفضي إلى بناء استراتيجية تخصص لموارد هذا التراب**

والتفاعل الإبداعي معها [...]"[73]، وتحيل التنمية الترابية على التجذر والهوية والانتماء الترابي، وكذلك على الاستكشاف الترابي والمعلومة الترابية والمنولة، كما تشير أيضا إلى اللامركزية والإفراد والتشاركية والتدرب المعرفي الأفقي والجماعي وتكوين المهارات المشتركة، تأخذ بالاعتبار التراب بمقوماته المادية واللامادية ومواطن قوته وما يمكن أن يتهدده والفرص التي يمكن أن تكون متاحة أمامه، وتطرح سؤال المواطنة وتفضي للحوكمة[74].

وتعمل هذه الدراسة على جرد الموارد والمبادرات الإبداعية لتراب بلدي، وتقديم التوجهات والمقترحات الكفيلة بدفعها لتكون محرك تنمية ترابية بما هي مسار من البحث والتقصي للموارد الخصوصية لتراب ما وكشفها وإبرازها وتجديدها والتفاعل الإبداعي معها، وهو ما يسمح لهذا التراب بالإفلات من المنافسة المعولمة حول البضائع والخدمات ذات الطابع الذي يغلب عليه التعميم[75].

ويتبنى البحث أيضا مفهوم الصناعات الإبداعية بما هي:**"[...] السلع والخدمات التي تستخدم الإبداع ورأس المال الفكري كمدخلات أولية، وتشمل 4 مجموعات: التراث (التعبير الثقافي التقليدي والمواقع الثقافية) والفنون (الفنون البصرية والمسرحية) ووسائل الإعلام (النشر والوسائط المطبوعة) والإبداعات الوظيفية (التصميم والبرمجيات وألعاب الفيديو والمحتوى الإبداعي الرقمي والهندسة المعمارية والإعلام والخدمات الثقافية الترفيهية)."**[76]، وتشمل حسب المجلس الثقافي البريطاني[77]: (1)- الصناعات السمعية البصرية: تلفزيون وأفلام وفيديو وتصوير ضوئي وإشهار وموسيقى، (2)- فنون أداء: مسرح ورقص وسيرك ومهرجانات ومسرح العرائس، (3)- كتب ومطبوعات: نشر وادبيات وطبع، (4)- الفنون البصرية والتصميم: التصميم والهندسة المعمارية والتصميم الداخلي والفنون الجميلة والحرف، وهي قادرة على دفع التنمية الترابية، لأن: **"الاقتصاد الإبداعي يمثل واجهة**

---

[73] PECQUEUR (Bernard), **"Le développement territorial, une nouvelle approche des processus de développement pour les économies du sud",** Le territoire est mort. Vive les territoires! Paris, IRD, 2005,p296.

[74] BELHEDI (Amor), **"Territoire, développement territorial, géo gouvernance",** In Actes des travaux du colloque international LOTH, «Gouvernance et communication territoriales», Mahdia (Tunisie), du 7 au 9 Avril 2016, Revue des Régions Arides, N°40, 2016, p3.

[75] DISSART (Jean-Christophe), LALLAU (Benoît) et LOUBET (France),"**Développer les capacités Territoriales**", In Rapport: Vers l'égalité des territoires: Dynamiques, mesures, politiques, Dirigé par Eloi Laurent,Mayenne, Février 2013, p324.

[76] علماوي (أحمد) ومصطفى (صفية)، **"دور الصناعات الإبداعية في توسيع نطاق مسارات التنمية المحلية"**، ضمن أشغال الملتقى الدولي: الاتجاهات الحديثة للتجارة الدولية وتحديات التنمية المستدامة. نحو رؤى مستقبلية واعدة للدول النامية، 2 و3 ديسمبر 2019، ص353-354.

[77] بي أو بي كونسلتينغ، **رسم خارطة الصناعات الإبداعية: دليل إرشادي**، ترجمة: ألما السالم، تنقيح: لين صنيح، لندن، منشورات المجلس الثقافي البريطاني، سلسلة الاقتصاد الإبداعي والثقافي، 2013، ص16.

اللقاء بين الثقافة والاقتصاد والتكنولوجيا [...]"[78]، ولأن الشركات الإبداعية غالبا ما تكون: **"[...] صغيرة جدا ومتجذرة بقوة في مجتمعاتها المحلية."**[79].

ويتكون البحث بناء على ما سبق من ثلاثة مباحث، يقدم الأول بسطة حول الملمح العام للمدينة وترابها ويبرهن على وضعية الاستقطاب التي يخضعان لها ضمن الطوق الحضري لتونس الكبرى، وذلك من خلال جرد لوثائق التهيئة الترابية المتصلة بالموضوع والتي تشملها. أما المبحث الثاني والذي يعتمد على تحقيق ميداني، فيعرض مجموع الموارد والمبادرات الإبداعية التي يمكن رصدها ضمن مدينة حمام الزريبة وتراب بلديتها. ويأخذ المبحث الثالث شكل وثيقة توجيهية لمختلف المنطلقات والتصورات والاختيارات الإرادية التي من شأنها أن تساهم في "الانتقال الإبداعي" للمدينة وترابها، وذلك بمقاربة تشاركية مواطنية.

I- مدينة حمام الزريبة وبلديتها (نموذج البحث) وملامح استقطاب حاضرة تونس

II- الموارد والمبادرات الإبداعية لمدينة حمام الزريبة وتراب بلديتها؛ الزريبة

III- وثيقة توجيهية لمشروع تنمية بلدية الزريبة بمنطلق إبداعي

I- مدينة حمام الزريبة وبلديتها (نموذج البحث) وملامح استقطاب حاضرة تونس:

I-1. الملمح العام للبلدية والمدينة:

توجد مدينة حمام الزريبة شمال-شرق البلاد التونسية ضمن تراب ولاية زغوان، تقع جنوب عاصمة الولاية على مسافة 6 كلم وجنوب تونس العاصمة على مسافة 60 كلم وغرب مدينة الحمامات على مسافة 45 كلم وشمال مدينة سوسة على مسافة حوالي 80 كلم، وهي تشرف منذ 2018 على واحدة من البلديات الثمانية لولاية زغوان: بلدية الزريبة، الموجودة شرق ولاية زغوان تحدها شمالا بلدية زغوان وغربا بلديتي الفحص وصواف وجنوبا بلدية النفيضة وشرقا بلدية بوفيشة (ولاية سوسة)، تقدر مساحة ترابها البلدي الحالي بـ 339 كلم مربع وقد بلغ عدد سكانها 26400 ساكن في تعداد 2014، بما يمثل 15 بالمائة من سكان ولاية زغوان، منهم 9600 يقطنون بالمجال الحضري بمدينة الزريبة حمام مركز البلدية.

وتعود تسميتها "الزريبة" لاسم النواة الحضرية الأولى التي تأسست في بداية القرن السابع عشر، والتي تسمى اليوم الزريبة العليا، وتعني كلمة الزريبة: التحويطة وتعني كذلك الحوش، وقد سميت كذلك نظرا لتركزها في موضع محاط بثلاث مرتفعات شكلت مشهدها وأهم سمات ملامحها. وقد تأسست خلال الحقبة الكولونيالية نواة ثانية أريد منها أن تكون نوع من "الاستراحة" الوسيطة بين المجال

[78] **المرجع نفسه**، ص9.

[79] **المرجع نفسه**، ص30.

المنبسط طوبوغرافيا حول طرق الربط الرئيسية وقطاع المرتفعات التي توجد به التجمعات السكنية وخاصة بالنسبة لقرية الزريبة (الزريبة العليا حاليا)، لتظهر نواة قرية بهيكلة شطرنجية حول ساحة مركزية تحيط بها مجموعة من المرافق الجماعية، يمر بها الطريق الرابطة بين زغوان والنفيضة (ط.ج. 133).

أما الكيان الثالث فيمثل اليوم "عاصمة" البلدية: حمام الزريبة، والتي تعود نواتها الأولى إلى سنة 1965، وقد ارتبط وجودها خاصة لمنجم الفليورومنبع المياه الحارة "الحمام"[80] وذلك بتشجيع من الحكومة التي منحت السكان الأوائل، الذين انتقلوا للمكان من قرية الزريبة التي أصبحت تسمى "الزريبة العليا" ومن بعض المناطق المجاورة، مساكن جاهزة (85 مسكن)[81]، ثم بعد ذلك أعدّت للذين تلوهم مقاسم في مرحلة ثانية، وقد كان الهدف من ذلك إحكام السيطرة والتأطير الاجتماعي والسياسي نظرا لوعورة الموضع الأصلي بالزريبة العليا.

وقد نجح منبع المياه المعدنية الحارة "الحمام" ومنجم الفليور "المينا" في إحداث حركية اقتصادية واجتماعية منحت هذه النواة الثالثة المجال لتكون الكيان الحضري الأساسي في منطقتها مما أهلها، بعد "التعبئة السياسية" اللازمة، لترتقي لرتبة بلدية سنة 1980[82]، في النظام البلدي التونسي القديم[83]، وهي تضطلع بوظيفة مركز معتمدية[84] منذ سنة 1993 تاريخ تسميتها[85]، وفي رقعة ترابية تتطابق بشكل كبير مع التراب البلدي الحالي للزريبة[86]، وهي تشرف بذلك إداريا وترابيا على ثمانية عمادات[87]: (1)- الجوف الشرقية، (2)- الجوف الغربية، (3)- الزريبة حمام

---

[80] **منبع المياه المهنية الحارة؛ "الحمّام":** يوجد جنوب غرب مدينة الزريبة حمام التي تستمد تسميتها منه، **ويعود** هذا المنبع إلى العصور القديمة، وهو مرتبط جيولوجيا بظاهرة "بشق القباب الجوراسية". يترواح معدل تدفق المياه بهذه العين بين 6 و25ل\ث بدرجة حرارة 46°، وهي كبريتية ذات درجة إشعاعية مرتفعة، مما يعطيها منفعة طبية هامة... وهو يستقطب حوالي مليون زائر سنويا.

[81] وزارة التجهيز، إدارة التهيئة العمرانية، الإدارة الجهوية بزغوان، مصلحة المستوطنات البشرية، **مثال تهيئة الزريبة حمام؛ التقرير الاجتماعي والاقتصادي**، زغوان، 1983، ص06.

[82] الأمر عدد 515 لسنة 1980 المؤرخ في 7 ماي 1980، **المتعلق بإحداث بلدية الزريبة.**

[83] يمسح مجالها البلدي (Périmètre Communal) الأول المحدث حسب النظام القديم 16 كلم مربع، ويقدر العدد الجملي لسكانه 9002 ساكن سنة 2004، وذلك باعتبار نسيج مدينة حمام الزريبة وتجمع الزريبة قرية ومساحات هامة تقع بينهما في مسافة تناهز 2كلم.

[84] **المعتمدية:** قسم إداري لامحوري يرجع بالنظر إلى الولاية تنقسم بدورها إلى عمادات، يشرف عليها معتمد يتولى في حدود منطقته وتحت سلطة الوالي تنشيط وتنسيق ومراقبة المصالح المحلية الراجعة بالنظر للإدارات المدنية التابعة للدولة...

[85] قرار من وزير الدولة وزير الداخلية مؤرخ في 16 ديسمبر 1993، **يتعلق بتحديد معتمدية الزريبة ومناطقها من ولاية زغوان.**

[86] أمر حكومي عدد 200 لسنة 2019 مؤرخ في 18 فيفري 2019،**يتعلق بضبط الحدود الترابية لبلدية الزريبة من ولاية زغوان.**

[87] الجمهورية التونسية، **وزارة الشؤون المحلية، النظام البلدي [التقسيم الترابي]**، تونس، وزارة الشؤون المحلية، 2016، ص104.

الجنوبية، (4)- الزريبة حمام الشمالية، (5)- الزريبة قرية، (6)- بوعشير، (7)- جرادو، (8)- عين البطرية.

يمتد المجال الحضري لمدينة حمام الزريبة على حوالي 240 هكتار، يتوزع على ثلاث وحدات كبرى: النسيج الرئيسي والسكني للبلدة والذي يتوسطه الحي الإداري ونسيج الحي الصناعي الذي يوجد شمال الأول ونسيج منطقة "الحمام" غربها الذي ينتظم حول منبع المياه المعدنية الحارة؛ "الحَمام"، تتخذ الخطاطة العامة للمدينة هيكلة أو شكل "طريق مسدودة"[88] ينتهي عند الحمام، وهو ما يحد من فرص وإمكانيات وصلها بمناطق عديدة من بلديتها برغم مسافة بضع مئات الأمتار التي تفصلها عنها.

يضم حيها الإداري أهم مرافقها الجماعية الضرورية: مكتب بريد وقصر البلدية ومقر المعتمدية ومكتبة عمومية... كما يوجد بالمدينة معهد ثانوي ومدرسة إعدادية ومدرستان أساسيتان وملعب كرة قدم ودار للشباب ودار ثقافة ومركز للصحة الأساسية... ويمتد حيها الصناعي على جزئين بعدد جملي 93 مصنع في الصناعات الميكانيكية والكيمياوية والمنزلية... ترتكز جل أنشطته على التوريد بالوكالة[89].

وتتمحور الحياة الاقتصادية للمدينة خاصة حول السياحة الموسمية حول منبع المياه المعدنية الحارة، فيما يقتصر دور الحي الصناعي، منذ بعثه سنة 2002، على توفير مواطن شغل[90]، كما تستند إلى نشاط تربية الدواجن، هذا إضافة إلى بعض المنتجات الفلاحية الأخرى مثل الزيتون والحبوب... أما عن منجم الفليور فقد استنفذ مخزونه منذ بداية تسعينيات القرن العشرين وبقي موضعه شاغرا ومخلفاته حاضرة في المشهد الحضري للمدينة.

وقد خضعت مدينة الزريبة حمام لمثال تهيئة يعود لسنة 1985[91]، أقرت مراجعته سنة 2007[92]، ويظهر مثال المدينة في صورته الإجمالية كمجموعة من الاقتطاعات المتتالية لمساحات البناء، فهو مجموعة من التقسيمات المشدودة بشكل تلقائي لمحور

---

[88] **طريق مسدودة (Cul de sac):** طريق نافذة من جهة واحدة، يحدث في نهايتها في الغالب تدبير يسهل عملية الاستدارة والعودة على الأعقاب، وهي الخطاطة التي تهيكل الشريان الرئيسي لمدينة حمام الزريبة التي تتمفصل أهم أنسجتها حول شارع يتفرع الطريق الجهوية عدد 133، وتمتد على حوالي 3 كلم حتى مستوى وجود منبع المياه المعدنية الحارة "الحمام".

[89] **التوريد بالوكالة (Import Substituions):** ويقوم هذا النموذج على جلب مؤسسات أجنبية تركز وحدات صناعية صغيرة تقوم فيها بإتمام جزء من مكونات منتوجها، تكون غالبا في مراحله النهائية، بيد عاملة تونسية، ثم تعيده لبلده الأصلي دون أي مبيعات في السوق المحلية، ودعم هذا المنوال خاصة القانون المعروف بقانون 72: قانون 72-38 لسنة 1972...

[90] داود (محرز)، **"دور المنطقة الصناعية بالزريبة في التنمية المحلية"**، ضمن منتدى آراء الخامس، جمعية آراء للمدنية والمواطنة بالتعاون مع النيابة الخصوصية لبلدية الزريبة، مقر بلدية الزريبة، 19 فيفري 2015.

[91] وهي الوثيقة المصادق عليها بموجب قرار عدد 85 مؤرخ في 10 جانفي 1985، وتتكون من تقرير اجتماعي واقتصادي وتراتيب عمرانية، أعدتها مصلحة المستوطنات البشرية التابعة لإدارة التهيئة العمرانية بالإدارة الجهوية بزغوان.

[92] مصادق عليه بموجب أمر عدد2415-2007 مؤرخ في 02 أكتوبر 2007.

طريق متعرجة وريثة مسلك فلاحي، يغلب على شبكة طرق مدينة حمام الزريبة في المناطق السكنية الشكل الشطرنجي غير التراتبي، فيما تنفتح طرق المنطقة الصناعية على شكة من الهياكل الشطرنجية والتراكزية والمشعة والمركبة... وتعيش المدينة، كما هو حال كل المدن التونسية، حالة من الارتباك في طابعها المعماري حيث تتجاور كل المرجعيات والكتل والمعالجات والألوان والمواد...

I-2. الصبغة "الحزامية" للبلدية ضمن وثائق التهيئة الترابية:

تقع أدوات التهيئة الترابية في مقدمة التسلسل التراتبي لأدوات التعمير التونسي، بعد النصوص التشريعية، تليها أدوات التهيئة العمرانية: أمثلة التهيئة العمرانية وأمثلة التقسيمات... وتتكون على الصعيد الوطني من المثال التوجيهي لتهيئة التراب الوطني، وعلى الصعيد الإقليمي من الأمثلة التوجيهية للتهيئة[93]، ونجد في هذا السياق وعلى سبيل الذكر المثال التوجيهي لتهيئة تونس الكبرى والمثال التوجيهي لتهيئة صفاقس الكبرى والمثال التوجيهي لتهيئة المجموعة العمرانية بزغوان... وهي تهدف بالأساس إلى: "**التحكم في المجال وإدماج كل أجزاءه وتحقيق تكاملها**[94].

ويعرّف المثال التوجيهي لتهيئة التراب الوطني على أنه وثيقة توجيهية تهدف إلى تنظيم المجال الترابي على الصعيد الوطني وذلك عبر دمج التراب الوطني من خلال بعث البنى التحتية اللازمة لتسهيل المبادلات وكذلك التوازن الحضري باعتبار صيانة الموارد الطبيعية وتوجيه الاختيارات التي تشجع على توزيع متوازن للأنشطة الاقتصادية على التراب الوطني، أما الأمثلة التوجيهية للتهيئة فتضبط "[...] التوجهات الأساسية لتهيئة المناطق الترابية المعنية وذلك اعتبارا للعلاقات مع الجهات المجاورة والتوازن الذي يتعين المحافظة عليه بين التوسع العمراني وممارسة الأنشطة الفلاحية الأنشطة الاقتصادية الأخرى..."[95].

ويمكن القول بناءا على ما تقدم أن الكلمات أو الصيغ المفاتيح في أهداف هذه الوثائق: **دمج المجال الوطني، وتسهيل الوصل والمبادلات، والتوازن بين الأنشطة وبين المناطق**. وهو ما سنحاول رصده، فيما يتعلق بالتوجهات الخاصة ببلدية الزريبة ضمن القطاع الترابي بولاية زغوان، ويتمثل هذا الجزء من المقال في جرد مختلف

---

[93] وهي تهم المناطق الحساسة والتجمعات العمرانية التي تتطلب صياغة أمثلة توجيهية خاصة، والتي تضبط قائمتها بأمر، وهو الأمر عدد2092 لسنة 1998 المؤرخ في 28 أكتوبر 1998، **المتعلق بضبط قائمة التجمعات العمرانية الكبرى والمناطق الحساسة التي تتطلب إعداد أمثلة توجيهية للتهيئة.**

[94] الطياشي (حسن)، **"السياسات الحضرية في الجمهورية التونسية"**، ضمن الظاهرة الحضرية في تونس، تونس، دار سيراس للنشر والمعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، سلسلة مراجع، 1993، ص85.

[95] الفصل 5 من القانون عدد 122 لسنة 1994 مؤرخ في 28 نوفمبر 1994، **المتعلق بإصدار مجلة التهيئة الترابية والتعمير.**

التوجهات التي تنص عليها أدوات التهيئة الترابية التي تهم تراب الولاية ومن خلالها البلدية: **المثال التوجيهي لتهيئة التراب الوطني والمثال التوجيهي لتهيئة تونس الكبرى والمثال التوجيهي لتهيئة المنطقة الاقتصادية للشمال-الشرقي والمثال التوجيهي للتهيئة المجموعة العمرانية بزغوان**، في محاولة لتبين أن هذه التوجهات دعمت وكرست طابع حزامي للولاية ومن خلالها بلدية الزريبة.

يندرج تراب بلدية الزريبة ضمن المنطقة الشرقية لولاية زغوان والتي لم تمثل في أدوات التهيئة الترابية والاختيارات التنموية، وعلى سبيل التخصيص في المثال التوجيهي لتهيئة التراب الوطني، أكثر من ظهير أو متكأ لحل مشاكل التحوضر والنفوذ والربط لمنطقة تونس الكبرى والساحل، وفي أفضل الصور أحد مكونات حزام التضامن الحضري لهذا الإقليم، رغم أن الوثيقة في تشخيصها تؤاخذ هذا الطابع التراكزي نحو العاصمة وتؤكد على خطورة ظاهرة "عظمة الرأس"، وهي تعتبر هذا القطاع من جهة زغوان أحد الممرات القادرة على وصل تراب تونس الكبرى بتراب الساحل، ورافد مهم لحوضرتها، وعوض التفاعل مع الخصوصيات المحلية للجهة وبلدياتها ينص على: **"إحداث شريان حزامي سريع حول تونس الكبرى يربط الطريق A1 وA4 ويمكن من تحويل الحركة المرورية خارج العاصمة"**[96].

ويتعمّق هذا التناقض ويصبح أكثر وضوحا عندما نجد أن المثال التوجيهي لتهيئة المجموعة العمرانية بزغوان يقسم مجال الولاية إلى نصفين حسب خط زاوية تقريبا: شمال-غرب\ جنوب-شرق، ليستثني قطاعها الغربي، معتمديات الفحص والناظور وصواف، ويكتفي بالعمل و"التحليل" وتقديم "السيناريوهات" و"المقترحات" و"التوجهات" في معتمديات (بلديات حاليا) مجالها الشرقي: بئر المشارقة وزغوان والزريبة، وهو بالضبط المجال التي تعتمد عليه الاختيارات "الحزامية" للأمثلة السابقة، والذي يشمل أيضا موقع تركيز المنصّة اللوجستية، وهو يمثل القطاع الأوسع لمجال تأثير واستقطاب تونس الكبرى بالولاية، كما يشمل المجال الصناعي للجهة والذي يعول عليه لتخفيف أعباء الإقليم، ليوغل هذا الاختيار في مزيد من التعميق في التباين الموجود بين هاذين القطاعين من الولاية على المستوى الطبيعي والبشري والاقتصادي، فالقطاع القطاع الجنوبي-الغربي من الولاية ينتمي وحسب نفس الأدوات لمنطقة "الكتلة الوسطى"، وهي منطقة طاردة ومنفرة، وتمتد حتى كسرى وتضم ممر بوعرادة الذي يعتبره المثال التوجيهي لتهيئة التراب الوطني عازل[97].

[96] Ministère de l'Equipement, de l'Habitat et de l'Aménagement du Territoire, Direction Générale de l'Aménagement du Territoire, **Schéma Directeur d'Aménagement du Territoire National, Etude Stratégique (Rapport Final),** DIRASSET-GROUPE HUIT-IPIG, 2007, p27-28.

[97] **Ibid.,**, p61-58.

ويقول المثال في سيناريو تهيئة أول: **"تمثل منطقة المثال التوجيهي لتهيئة المجموعة العمرانية بزغوان فضاء إعادة انتشار لبعض صناعات تونس الكبرى وخاصة في قطاع صناعات مواد البناء والخزف والبلور، وهي كذلك مجال اقتصاد فلاحي تخومي يساهم بشكل مطرد في تلبية الحاجيات المتزايدة لسوق تونس الكبرى. وهو ما يتطلب مزيد من دعم كل محاور الوصل في اتجاه منطقة الدراسة [الهلال الشرقي من اتجاه شمال-غرب حتى اتجاه جنوب-شرق من ولاية زغوان]"**[98]، أما في السيناريو الثاني يضيف على ما ذكر **"الإدماج الكامل لمنقطة الدراسة [الهلال الشرقي من اتجاه شمال-غرب حتى اتجاه جنوب-شرق من ولاية زغوان] في مجال التحوضر للعاصمة."**[99]، وهو تصوّر يتجاهل أنه يعمل في إطار مجال جهة وعوض أن يحرص على إدماج مجالها يسير في اتجاه فصلها وإلحاق جزء منها بمنطق ونسق تحوضر إقليم وتونس، كمتكأ لتخفيف الأعباء ومخزن لتوفير الحاجيات من مواد بناء وغذاء، ويترك مجال واسع من الولاية في حاجة ماسة للتفاعل والإدماج مع الأول، بما يشبه منطقة "ظل".

لقد أدت هذه الاختيارات إلى الإبقاء على ضعف الشبكة الحضرية للولاية، حيث تبقى الوظيفة الأساسية لعاصمة الولاية، وبقية مراكز بلدياتها، إدارية مرتبطة بصبغتها كمقرات لامحورية، فباستثناء هذه العلاقات والوظائف الإدارية، تبقى جاذبيتها ضعيفة ويعوقها القرب الكبير من المجال الحضري لمدينة تونس، ولا تقوم بالدور الاستقطابي سوى بشكل ضعيف، ولا تحدث حولها الديناميكية القادرة على خلق مفعول التنشيط والاستثارة، والتي تبعث بدورها شبكات أدفاق ومبادلة، محلية وجهوية وخارج الجهة، باعثة للشغل والثروة: تعوقها بشكل ثقيل ضعف الخدمات وعدم اكتمال البنى التحتية[100].

II- الموارد والمبادرات الإبداعية لمدينة حمام الزريبة وتراب بلديتها:

يستند هذا الباب إلى نتائج بحث ميداني (بصدد الإنجاز) يندرج بدوره ضمن مشروع "الزريبة: بلديتنا المصممة المبدعة"، وهو مشروع حظي بتمويل صندوق التشجيع الإبداع الأدبي والفني بوزارة الشؤون الثقافية التونسية، وينجزه فريق البحث بإشراف الباحث والمنشط الثقافي محمد الحلواني، الذي يشرف على نادي التصميم والابتكار بدار الثقافة بمدينة حمام الزريبة، ويهدف المشروع بالأساس إلى **" تجذير نادي التصميم والابتكار في بيئته المحلية من خلال إنجاز شريط**

[98] Ministère de l'Environnement et de l'Aménagement du Territoire, DGAT, **Schéma Directeur d'Aménagement de l'Agglomération de Zaghouan, (Zaghouan-Bir M'Chergua-Jbal Oust),** Rapport de deuxième phase, SEE Consult/ESPACES, Juillet 2002, p136.

[99] **Ibid.,** p138.

[100] **Ibid.,** p121-122.

وثائقي وقاعدة بيانات حول الممارسات التصميمية والإبداعية وما يتصل بها بالقطاع الترابي الجديد لبلدية الزريبة"[101].

يتمثل المشروع في مسار تحقيق ميداني مصور يشمل كل الشخصيات والتجارب والمبادرات والمهارات والتقنيات ذات الصلة بالمشهد التصميمي والإبداعي (تراثي ومعاصر) في مختلف اختصاصاته الفرعية: فضاء وتصميم أثاث ومنتوج وإشهار سمعي-بصري وتصميم خطي وحرف ومنتوجات مادية وأغراض حياتية يومية وأدوات منزلية ومبتكرات غذائية وعلاجية وتصميم أزياء ومبادرات وتظاهرات... وبمختلف اهتماماتها: تصميم أيكولوجي وتصميم اجتماعي وتصميم تراثي وتصميم مواطني... والتي يمكن رصدها في المجال البلدي الجديد للزريبة يتوج بشريط وثائقي مصور وقاعدة بيانات تفاعلية.

كما يشمل التحقيق الحرف التراثية للمجال الترابي الجديد لبلدية الزريبة مثل الفخار وضفيرة الحلفاء والنسيج اليدوي، ويتناول البحث الميداني الحرف الحديثة من نجارة معاصرة وحدادة وقولبة وقص باللازار... ويدرس المشروع المواد والتقنيات المستعملة من طين وصوف وخشب وحلفاء وجبس وجير... ويشمل كل ما يتوفر بالبلدية من آلات وتقنيات معاصرة وتكنولوجيا حديثة. ويتناول المشروع أيضا التجارب التصميمية والإبداعية لأصحاب الشهائد العليا ممن تمكنوا من إطلاق تجاربهم في مختلف فروع الصناعات الإبداعية المذكورة سواء كانوا ينشطون داخل المجال الترابي للبلدية أو خارجها.

وقد تمكن فريق المشروع خلال ثلاثة أشهر من رصد 89 عنصر إبداعي: موارد ومبادرات، تتوزع على كافة أرجاء التراب البلدي الجديد للزريبة، يمكن تصنيفها في صنفين أساسيين: (1)- موارد إبداعية محلية ببلدية الزريبة: وتتمثل في عناصر ثقافية وطبيعية ذات قابلية عالية للتثمين وللتحول إلى صناعات إبداعية، (2)- المبادرات الإبداعية: وتتمثل في مجموع التطبيقات الفعلية، في مستويات مختلفة من التقدم من الإنجاز، والتي انطلقت فعليا في التثمين وفي ما يمكن تسميته "الانتقال الإبداعي" أو ما يمكننا أن نسميه اقتباسا من أدبيات التنمية الترابية[102] بـ"المناشط" الإبداعية.

II-1. الموارد الإبداعية المحلية ببلدية الزريبة:

[101] الحلواني (محمد)، **مشروع "الزريبة: بلديتنا المصممة المبدعة"؛ إنجاز شريط وثائقي وقاعدة بيانات حول بيئة التصميم والابتكار ببلدية الزريبة(دراسة المشروع)**، تونس وزارة الشؤون الثقافية، صندوق التشجيع على الإبداع الأدبي والفني، 2020.

[102] PECQUEUR (Bernard), **Op. Cit.**, p304.

تتمثل في عناصر ثقافية وطبيعية ذات قابلية عالية للتثمين وللتحول ممارسات ومبادرات يمكن إدراجها في لمستقبل ضمن الصناعات الإبداعية وتتمثل خاصة في جملة من المعارف الحرفية واليدوية والمواد والروايات الشفوية والتسميات ومواقع ذاكرة والمواقع المشهدية المميزة... وقد تمكن التحقيق من رصد 53 عنصر أو مورد إبداعي تنتشر على كامل أرجاء التراب البلدي للزريبة وخاصة في عمادتي الجوف الشمالية والجنوبية والزريبة حمام الشرقية والغربية...

وقد سجل التحقيق في هذا الصدد الوجود التلقائي واليومي لحرفة الفخار التي ترتبط بجل البيوت في عمادتي الجوف، كممارسة موروثة وبسيطة تتمكن من خلالها المرأة في هذه المناطق من تحقيق حاجياتها المباشرة من عدد من الأدوات المنزلية ذات الأهمية البالغة على غرار "الطابونة" (فرن تراثي لطهي الخبز) و"الغناي" (إناء يستعمل لطهي خبز رقيق) لصنع الخبز و"الكانون" (الموقد) للعديد من الاستعمالات وخاصة طهي الشاي والتدفئة...

وتعرف هذه الحرفة اليوم في التراب البلدي أفضل صيغ وجودها في قرية عين البطرية الموجودة جنوب التراب البلدي، حيث نجد مسار صناعة فخار حسب منوال تراثي[103] يعيده المؤرخون إلى العصر الحجري الحديث[104]، وبالاعتماد على مخزون من الطين الموجود في محيط القرية، وفي مقاربة عائلية إدماجية بحيث يسهر الرجال (الأزواج) على جلب مستلزمات العمل من طين ومواد لطهي المنتجات وتسويقها بعد صنعها، فيما تعمل النساء (الزوجات) على إعداد الطين وتمليسه وطهيه في أفران صغيرة معدة للغرض... وتصنع القرية "ماعون": أواني للطهي ولحفظ الماء وكذلك عناصر زينة...

ومن العناصر الإبداعية ذات الطابع التراثي التي تثير الاهتمام نجد النسيج اليدوي الذي تنتشر منتجاته في جل البيوت عبر تراب البلدية، فيما تكاد المهارات والتقنيات المتصلة به تندثر، فمن جملة 72 مسكن شملت بالتحقيق وجدنا 49 مسكن تحتوي على منسوجات أرضية وأغطية منسوجة حسب المناويل التقليدية المعروفة في المنطقة وتحمل زينة وأشكال مميزة على غرار: "الحوتة" أو "قرن مشالة" و"المنقالة"... بالألوان المعروفة تقليديا وخاصة الأزرق والأسود والأبيض... وفي المقابل لم نجد أي نول للنسيج بأي من البيوت المشمولة بالتحقيق والجميع يؤكد بأن "الصنعة ماتت" ولم تعد قادرة على تغطية تكاليفها، كما لم يعد هناك نسوة

---

[103] داود (محرز)، **"أيقونات من العادات والتقاليد والمهارات المحلية بولاية زغوان"**، ضمن مختارات من الأيقونة التراثية بولاية زغوان، إشراف: ياسين الحلواني ومنى الحلواني ومحرز داود، زغوان، جمعية آراء للمدنية والمواطنة بالشراكة مع دار الثقافة أبو القاسم الشابي بزغوان والمندوبية الجهوية للشؤون الثقافية بزغوان، وبتمويل من مؤسسة المورد الثقافي، 2018، 145-155.

[104] البقلوطي (الناصر)، **الفخار الريفي بتونس**، تونس، الدار التونسية للنشر والمعهد القومي للآثار والفنون، 1990، ص59.

تشتغلن بهذه الحرفة خاصة بعد تركيز الحي الصناعي بمدينة حمام الزريبة. كما تؤكد المعطيات التاريخية أن المنطقة كانت تتميز بصناعة الحصير، وخاصة ما يطلق عليه بـ"المهبولة" وهو منتج من الحلفاء ينصح به اليوم صحيا...

وتزخر المنطقة البلدية بالعديد من الأساطير والروايات الشفوية والتجارب الشعرية والتي تركت أثرا كبيرا في مشهد المنطقة ويمكن بناءا عليه العمل على التفاعل معها وتثمينها، حيث سجلنا على سبيل مثال رواية شفوية تقول بأن "سفينة نوح رست في مكان قريب من قرية الشرشارة" بمنطقة الجوف، كما عرفت فوق جبل القلعة بالزريبة العليا شجرة كبيرة جرى الاعتقاد بين أهل القرية أنه كل من تجرأ وصعد لموضعها يلقى حتفه، كما تتميز الزريبة العليا بتجربة شعرية تراثية لشاعر كان أهل القرية يهابون هجاءه، فيما كان للقرية فداوي يروي قصص وخرافات قديمة بالإضافة إلى ما يسمعه من حكايات ممن عاصره...

ومن أبرز الموارد الإبداعية التي تتوفر عليها المنطقة البلدية بالزريبة شبكة من أماكن الذاكرة والمواقع الأثرية ذات الرمزية العالية وفي العديد من الأحيان ذات القيمة التاريخية المميزة، حيث سجل التحقيق الميداني موقع سقوط طائرة ألمانية خلال الحرب العالمية الثانية شمال المنطقة البلدية، كما يسجل التحقيق موقع عنق وادي الحمام[105]، حيث وقع القضاء على سبنديو من قبل جيش أميلكار، هذا بالإضافة إلى شبكة من المواقع الأثرية والأنسجة العمرانية التراثية على غرار موقع سرجاس بمنطقة بوعشير وموقع الفوار بمنطقة جرادو وموقع الجوف وموقع البليدة المجهول شمال التراب البلدي، وهو نسيج عمراني أثري شبيه بموقع الزريبة العليا المعروف نسبيا، وموقع هنشير ابراهم بمنطقة راس الصعدة، على بعد كيلومترين شمال مدينة حمام الزريبة.

وسجل التحقيق عدد من المواقع المشهدية المميزة على غرار موقع "قصاع النسور" الذي يمثل موقع طبيعي في شكل مقعرات ذات هيكلة قريبة من الصحون الكبيرة التي تحبس مياه الأمطار فتتحول إلى مزار للنسور في أوقات معينة من العام، ليطلق عليها هذه التسمية، كما تحتضن البلدية، في الجزء من الحديقة الوطنية بجبل زغوان الواقع تحت إشرافها، عدد من الجدران الصخرية المحفورة في السفح الجنوبي لجبل زغوان أصبحت منذ مدة متاحة من خلال الطريق الجديدة المحدثة بين مدينة زغوان ومنطقة عين زكير، وهي تشكل مشاهد مميزة ذات خصوصيات جمالية عالية، هذا بالإضافة إلى المميزات التي تتمتع بها شبكة من القرى بمنطقة عين

[105] GROSSIN (Jean), **"Le village de Zriba- Tunisien"**, In Bulletin Economique et Sociale de la Tunisie, N°74, 1953, p61.

لنصارين والجوف بتفاعلاتها مع الطوبوغرافيا وقد أضحت الآن أكثر وصل بالطرقات البلدية المحدثة بما يجعلها مؤهلة لتكون شبكة زيارة مميزة.

II-2. المبادرات الإبداعية ببلدية الزريبة:

تتمثل في مجموع التطبيقات الفعلية أو الموارد الإبداعية النشيطة، في مستويات مختلفة من التقدم في الإنجاز، والتي انطلقت فعليا في تثمين معارة أو موقع أو تفاعل فردي أو جماعي حول تقنية أو مادة تراثية أو معاصرة أو تكنولوجيا حديثة... وذلك باهتمام اجتماعي أو أيكولوجي...

تتمثل أولى الفئات من المبادرات النشيطة التي يمكن أن تشد الانتباه في مجموعة من الشخصيات المصادر: بحثية ومجتمعية، التي تنشط في إطار المجتمع المدني وتعمل بالاستناد إلى التكنولوجيات الحديثة للاتصال والمشاركة، على إبراز خصوصيات ثقافية محلية ببلدية الزريبة تمهيدا لتثمينها، ونجد في هذا السياق تجربة ولد الفجة، وهو اللقب الذي عرف به في صفحات التواصل الاجتماعي، وهو فعلا ابن قرية الزريبة العليا وعايش جزء مهم من تاريخها يعود للنصف الأول من القرن العشرين، وقد تمكن خلال السنوات الأخيرة من توثيق شهادة ما عاينه حول القرية ونشرها في مؤلفة خاصة به.

لقد صدر في شهر أوت 2020 كتاب **"تراث في الذاكرة. الزريبة العليا"**، في 61 صفحة متوسطة القياسات بالألوان، مودع بدار الكتب الوطنية، يضم 57 مقال تشمل جل مظاهر تفاعل السكان المحليين بالقرية مع بيئتهم ومجمل تعبيراتهم الاجتماعية والثقافية والفنية والاقتصادية النفعية الوظيفية المتصلة بها... إنها عبارة عن شهادة دقيقة تغطي كل مكونات التراث اللامادي كما تعرفه منظمة اليونسكو: **"[...] الممارسات والتصورات وأشكال التعبير والمعارف والمهارات- وما يرتبط بها من آلات وقطع ومصنوعات وأماكن ثقافية- التي تعتبرها الجماعات والمجموعات، وأحيانا الأفراد، جزءا من تراثهم الثقافي."**[106].

ولد الكاتب محمد بن علي الأبيض سنة 1938 بالزريبة العليا وعاش بها حتى سنة 1967 تاريخ انتقاله إلى حمام الزريبة، عمل بمنجم الزريبة واضطلع بالعديد من الوظائف آخرها مستكتب إدارة. عرف ولد الفجة، وهي البطحاء التي يفتح بها منزله بالزريبة العليا، بولعه بالكتابة والرسم، على غرار الرسومات ذات التعبيرية العالية التي حلى بها الكتاب كشواهد.

كما نجد تجربة ثانية مماثلة ولكن تحاول ان تشمل قطاعات أوسع من تراب بلدية الزريبة، وهي تجربة الباحث المحلي محمد العربي رقاز، وهو موظف في بلدية

[106] **المادة 2 من اتفاقية بشأن حماية التراث الثقافي غير المادي**، منظمة اليونسكو، 2003.

الزريبة، والذي يعمل منذ سنوات على مطابقة الوثائق الأرشيفية المختلفة بما يعاينه ميدانيا من عناصر تراثية وتاريخية تتمتع بها المنطقة، وهو بصدد إعداد كتابه الخاص حول تراث البلدية. كما نجد تجربة ثالثة للناشط المدني والسياسي مكرم الحاج الصغير الذي توخى منحى أكثر "براغماتية" من سابقيه، حيث وجد بأن العمل على تثمين الرصيد العقاري والمعماري لقرية الزريبة العليا يصطدم بحقيقة عقارية مشتتة، وأن انتظار تدخل رسمي سيطول، فقرر أن ينطلق من ملكيته لجزء من مسكن، في إطار ميراث عائلته، ليعمل على اقتناءه من بقية الورثة وتحويله تدريجيا لفضاء مقهى ومطعم سياحي: "دار الزريبة"، ثم أخذ في تعميم التجربة باقتناء أجزاء كبيرة النسب من مواريث دور أخرى ثم العمل بشكل تدريجي على تصفية مستحقاتها حتى تؤول له مليكتها، وهو بصدد تشكيل شبكة من الدور لمشروع سياحي أكبر، فيما يحاول أن يجد طريقة يساهم من خلالها في تقنين كل عملية تدخل على النسيج وإعادة توظيفه والاستفادة منه في صيغة شبيه بتراتيب التعمير، وقد تمكن في إطار أشغال جمعية صيانة القرية من ترميم جزئي للجامع وتسجيله كمعلم تاريخي.

في المقابل سجل التحقيق الميداني مجموعة من المناشط ذات الطابع الفني وكذلك المعيشي الحياتي ذات الاهتمامات الأيكولوجية والتكنولوجية والفلاحية والسياحية... فعلى سبيل المثال نجد في حمام الزريبة والزريبة قرية تجربة معمارية وتجربة فنية-تصميمية مميزة، تتمحور الأولى حول بحث عملي في تجديد وتهذيب واجهات معمارية بالمدينة في تدخلات ذات طابع معاصر يحاول أن يدمج بعض العناصر المعمارية التراثية، أما التجربة الثانية فتتمثل في ورشة بحث يومي في نماذج سيارات يقوم صاحبها برسمها يدويا وتجسيدها في نماذج ثلاثية الأبعاد باعتماد مادة خشبية مسترجعة، وفي تجربة شبيهة ولكنها وظيفية، يقوم نجار بمعالجة ألواح التحميل وإعادة تطويع أخشابها في إنجاز مقاعد ومحابس وعناصر زينة توظف في المقاهي والمطاعم والمنازل... كما يقوم أحد الحرفيين في منطقة عين لنصارين بتذويب القوارير البلاستيكية وتحويلها إلى أغماد لوقاية الأسلاك الكهربائية التي توظف في الشبكات داخل الجدران المبنية.

ويتمثل الصنف الثالث من المبادرات والمناشط الإبداعية في أفراد أو مجموعات أو حتى مؤسسات تتفاعل مع المعارف والمهارات والتكنولوجيات المعاصرة، حيث نجد على سبيل المثال عدد من أبناء المدينة والبلدية ممن ينشطون في التصميم الإشهار الخطي وكذلك السمعي البصري، ويقدمون تصورات وتفاعلات في الميثاق الإشهاري والمنتجات السمعية البصرية التي تتفاعل مع المشهد العام لبيئتهم وذلك في مختلف المناسبات والتظاهرات التي تعيشها بالإضافة لما يقدمونه من خدمات لحرفائهم، كما نجد مجموعة من الشباب الذين ينشطون في الروبوتيزم في إطار نادي

في دار الشباب بالزريبة، فيما تعمل مبادرة أخرى على تنفيذ زخارف وأشكال هندسية ووظيفية مختلفة من خلال آلة قص اللازار، ويهتم شاب متخرج من الجامعة ومهتم بالذكاء الصناعي...

III- وثيقة توجيهية لمشروع تنمية بلدية الزريبة بمنطلق إبداعي:

III-1. المنطلقات والركائز الإبداعية لمشروع تنمية بلدية الزريبة:

لقد أكد ما سبق عرضه من نتائج بأننا أمام مدينة صغيرة (مركز محلي في مستوى سفلي) تعيش من جهة على وقع طابع طوقي في خدمة حوضرة إقليم تونس، وهي تشترك في ذلك مع عاصمة ولايتها، وهي من جهة ثانية تتقدم منذ سنوات قليلة لتأطير مجال بلدي والإشراف عليه إداريا وترابيا. وقد بينت التحقيقات المختلفة أن مدينة حمام الزريبة وتراب بلديتها يزخران برصيد هام ومتنوع من الموارد والمبادرات الإبداعية القادرة على المساهمة الفعلية بالنهوض بهذا التراب وتحويله إلى شريك فاعل لإقليم تونس وجزء مندمج منه ولكن من خلال وقدراته المحلية الخصوصية وبمحتوى إبداعي مواطني.

وبناء على ما عرض يرتئي هذا البحث أن يقدم مشروع يتطلع لجعل بلدية الزريبة: بلدية مبدعة، أي قطب إبداعي متعدد المنابع والأبعاد والاختصاصات قادر على استقطاب تفاعلات وتجارب إبداعية واجتماعية وثقافية في أطر أفضية وتظاهرات ذات مميزات متفردة تمنحها قدرات عالية على المنافسة على مستوى جهوي ووطني وعالمي. ويستند المشروع إلى التوجهات التالية: (أ)- دعم الوصل والإدماجية بين المبادرات والموارد الإبداعية للبلدية ومن خلالها بين مختلف مدنها وقراها، (ب)- تعزيز المقروئية الواقعية والافتراضية للموارد والمبادرات الإبداعية بالبلدية ومن خلالها مختلف مكوناتها الترابية، (ج)- تحفيز وتنشيط التفاعل مع مختلف الموارد والمبادرات الإبداعية ببلدية الزريبة من خلالها مختلف مكوناتها الترابية والاجتماعية والثقافية: سكان عاديين ومجتمع مدني ومؤسسات إدارية واقتصادية... ويستند المشروع إلى الركائز التالية:

- نظام المعلومات الجغرافية والمماثلة الرقمية ثلاثية الأبعاد:

ويتمثل المقترح في إحداث مؤسسة ناشئة، ربما في إطار الشراكة بين القطاعين العام والخاص، يؤسسها فريق عمل من أبناء البلدية من المختصين وبالشراكة والتأطير اللازم على الصعيد الجهوي والوطني ومن الخارج، بما يجعلها في حد ذاتها مبادرة إبداعية، يتمثل دورها في المسح الجغرافي الدقيق للبلدية ورقمنتها وتثبيتها بالنسبة للإحداثيات الجغرافية المعتمدة، كما تعمل المؤسسة على مسح التراب البلدي وبناءه رقميا بالأساليب الأكثر دقة، بما يمنح البلدية صيغة افتراضية دقيقة ومرقمنة وقابلة للعيش والتفاعل على المستوى الافتراضي، يمكن استعمال مخرجاتها

في الدراسات التنموية الترابية والعمرانية والمعمارية وفي خلق متاحف وبيئات زيارات افتراضية وكل ما من شأنه أن يسهل التفاعل مع البلدية ومختلف الموارد والمبادرات الإبداعية التي تتضمنها على غرار مواقع الذاكرة والمؤسسات الإبداعية الناشطة والتظاهرات المتصلة بها.

- المسرد التشاركي لتسميات الأماكن والبيئات ببلدية الزريبة:

وهو مسرد يقع صياغته بشكل تشاركي بين السكان في مختلف عمادات وقطاعات ومدن وقرى بلدية الزريبة، يستند إلى استقصاء ميداني تؤمنه خاصة مؤسسات المجتمع المدني، ترصد خلاله مختلف التسميات للأماكن والمجالات والترابات التي تنضوي ضمن تراب بلدية الزريبة ومختلف التأويلات والقراءات والروايات الشفوية المرتبطة بها، وبناءا عليه تعرض المدونة على فريق من خبراء في اختصاصات متصلة بالموضوع، وخاصة من أبناء البلدية والجهة، يقومون بتأطير المعلومات المجمّعة ودعمها وتحليل محتواها ليقدم المحصول النهائي في وثيقة بيداغوجية تنشر على مستوى البلدية وخارجها ترافقها صيغة رقمية تفاعلية على الواب.

- إرشاديات بلدية الزريبة:

ويتمثل المشروع في نظام إرشاد يقع تصميمه بشكل خصوصي لتراب بلدية الزريبة، ويستند إلى نظام المعلومات الجغرافية وكذلك لمسرد التسميات، ويشارك فيه سكان البلدية بتأطير مختصين من أبناءها ومن خارجها، ويلتزم من جهة بالمعايير الإرشادية الدولية من جهة ويقدم تصورات خصوصية بالبلدية في تيمات مختلفة ومتنوعة تغطي مختلف المناطق والقرى والمدن ومداخل البلدية وطرقها الرئيسية وربطها بالحديقة الوطنية بجبل زغوان وأماكن الذاكرة والمواقع التاريخية والأثرية والمرافق الجماعية الكبرى المتصلة بالمبادرات الإبداعية وغيرها ومقرات المؤسسات والجمعيات والتظاهرات الإبداعية... يرتبط كل ذلك بالصيغة الرقمية للبلدية ويتفاعل معها بما يجعل زيارة أحد أماكن البلدية سلسة وممتعة ومزدوجة بين الواقع المادي والواقع الافتراضي.

- المتحف الدوري للتراث الثقافي ببلدية الزريبة:

يستند المقترح إلى الثراء الذي تتمتع به البلدية فيما يتعلق بالتراث الثقافي المادي واللامادي، ويقوم على فكرة تنظيم تظاهرة "المتحف الدوري لبلدية الزريبة"، وهو عبارة عن معرض مفتوح في شكل مسابقة سنوية مفتوحة لكل سكان البلدية، في صيغة حضورية وصيغة عن رقمية عن بعد، يشارك فيها الجميع بعناصر تراثية في حد ذاتها ومجمل التفاعلات الإبداعية التي يمكن أن تستلهم منها، في معرض يدوم فترة شهر على سبيل المثال، يؤطره مختصون في التراث الثقافي من البلدية ومن خارجها، ويقع خلاله التصويت المفتوح على أفضل العناصر التراثية والأعمال

الإبداعية التي تتوج خلال كل دورة، يصاحب المعرض سلسلة من الندوات العلمية والتظاهرات الفنية والتنشيطية التحسيسية...

- السوق الإبداعية بالمنطقة الصناعية:

يمكن أن تحدث هذه السوق ضمن المنطقة الصناعية وتكون بمثابتة التظاهرة السنوية المفتوحة لكل المبدعين: أفرادا ومجموعات وجمعيات ومؤسسات ناشئة بالمنطقة البلدية، تعرض خلالها كل المنتجات الإبداعية من تطوير روبوت وتصاميم أيكولوجية ومنتجات ألعاب رقمية ومبتكرات علاجية وغذائية خصوصية ومنتجات حرفية محلية خصوصية... بالإضافة لما تنتجه المنطقة الصناعية، وتفتح التظاهرة للسكان المحليين من الولاية ومن باقي التراب الوطني ومن الخارج ويستدعى لها الباعثون الصناعيون ومؤسسات البحث والتطوير... وتؤثث بندوات وورشات ولقاءات علمية وتكنولوجية مختلفة...

III-2. الأدوات الإرادية لمشروع تنمية بلدية الزريبة:

حتى يتسنى تحقيق هذه الأهداف وإنجاز مختلف المقترحات المقدمة أعلاه وغيرها، لابد من التعبئة الإرادية للدفع نحو تحقيق ذلك وتقويمه فيها بعد وتحسين الاستفادة منه، ويمكن أن تتجسد هذه التعبئة في مجموعة من الأدوات التوجيهية والتشريعية والعملياتية التي تمثل بدورها مبادرات إبداعية على صعيد محلي وبمنحى إدماجي، والتي يمكن أن تساهم في توفير البنية التحتية وتحسين محيط عيش السكان وتعزيز الربط والإتاحة، ويقترح البحث في هذا السياق: (أ)- مشروع مثال تنمية بلدية الزريبة، (ب)- مشروع مثال تشاركي لجمالية المدينة، (ج)- مشروع مثال صيانة وإحياء قرية الزريبة العليا.

أ- مثال تنمية بلدية الزريبة:

يعتبر مثال التنمية البلدية، وهي وثيقة مقترحة من جملة العديد من الوثائق المقترحة لمواكبة المستجدات التي طرأت على التقسيم الترابي الجديد، أداة تخطيط استراتيجي ترابي يقع في مستوى وسيط بين (1)- أمثلة التهيئة العمرانية (الأدوات الحالية للتعمير) والتي تغطي في الغالب مجال بلدي (وهو مديني قبل 2018)، و(2)- الأمثلة التوجيهية للتهيئة ذات الطابع التوجيهي والصعيد الترابي، على غرار المثال التوجيهي لتهيئة التراب الوطني والأمثلة التوجيهية للتهيئة... وهي وثائق توجيهية إدارية (غير ملزمة للعموم) ذات طابع مركزي.

وتتطلع هذه الوثيقة، حسب الأدبيات المقارنة، في نفس الوقت إلى تحقيق هدف سياسي-اجتماعي (دعم المشاركة لكل القوى الحية في التراب وفي مسار بناء القرار)، وهدف اقتصادي-اجتماعي (تحسين ظروف العيش من خلال تنمية

الأنشطة الاقتصادية)، وهي تمهيد للطريق نحو حوكمة ترابية رشيدة بما هي مقاربة تشاركية للحكم وإدارة الشأن العام تقوم على تعبئة الفاعلين السياسيين والاقتصاديين والاجتماعيين والقطاع الخاص والعام وكذلك المجتمع المدني بهدف رفاهية مستدامة لكل المواطنين[107].

وتتمثل الوثيقة في خطة تنمية ترابية تحتوي على مجموع الاختيارات والأنشطة التنموية للمجال الترابي للبلدية (التي تقوم على قدراته الطبيعية والاقتصادية والبشرية الذاتية) ومجموع الأدوات والآليات التي ستمكن من إنجازها، والتي تكون ثمرة حوار وتنسيق كل الفاعلين المحليين (مواطنين ومنتخبين محليين وهياكل فنية مختصة وجمعيات...) وذلك في إطار سيناريو تكامل وتوازن بين مختلف الأبعاد البيئية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية تحت مظلة رؤية توافقية بين كل الفاعلين، وفي إطار الانسجام والإدماجية مع بقية الترابات المجاورة والمتراتبة (جوار بلدي وجهة وإقليم وتراب وطني...) وذلك على المدى القريب والمتوسط والبعيد[108].

ب- المثال التشاركي للجمالية العمرانية:

يهدف للمساهمة في تعزيز جودة محيط الحياة، ويمكن إدراجه ضمن المبادرات الإبداعية والتجديد الاجتماعي والحضري، ويتمثل المشروع في وثيقة تقنية- ترتيبية يشارك في صياغة ملامحها سكان الحيز العمراني العمومي المعني، بعد أن يتلقوا التكوين الضروري، وفي تفاعل وانسجام فيما بينهم باعتبار روابط الجوار والمواطنة الفاعلة. ويهدف المثال إلى النهوض بالجمالية العمرانية للحيز المعني، من خلال تصميم تشاركي لملامحه المستقبلية، ويحتوي على ميثاق جمالي يتكون من مجموعة من الفصول الترتيبية، إضافة إلى كل الرسومات اللازمة التي تجسدها، يمضي السكان المعنيين من جهة والجماعة المحلية المعنية، من جهة ثانية، على الالتزام بتنفيذها خلال كل عمليات الصيانة والتهيئة والتطوير والتوسعة المستقبلية لممتلكاتهم وللمجال العمومي للطريق فيما يخص البلدية.

ويحدد المثال، بناء على المنهجية التي سيعتمدها، عدة نقط تشكل ملامح الحيز المعني مثل: **(1)- قياسات ونسب الفتحات، نوافذ وأبواب ومواد إنجازها، (2)- العناصر المعمارية التي سيسمح بتوظيفها:** أفاريز وأعمدة وأطناف... وموادها ومرجعيتها الزخرفية، **(3)- الطيف اللوني الذي يتوافق عليه السكان:** حسب

[107] BARAKAT (Ouafa) et BENDOU (Abdelaziz), "**Plan communal de développement: nouvelle approche de promotion d'une bonne gouvernance locale- Cas des communes de la province de Taroudant (Maroc)",** In Revue des Régions Arides, Numéro spécial : Actes des travaux du colloque international LOTH 2016: «Gouvernance et communication territoriale», Mahdia (Tunisie) 7, 8, 9 avril 2016, N°40, 2016, p120-121.

[108] BENMENNI (Brahim) et AMSIDDER (Abderrahmane), "**Le Plan de développement communal: Cas du territoire de Tazemmourt, de la province de Taroudant au Maroc",** In Revue des Régions Arides, Numéro spécial : Actes des travaux du colloque international LOTH 2016: «Gouvernance et communication territoriale», Mahdia (Tunisie) 7, 8, 9 avril 2016, N°40, 2016, p174-175.

الصورة المراد منحها للحيز، وباعتبار خصوصية كل نشاط: وفي حرص دقيق على الانسجام والتناغم بينها، وتحدد بناءا عليه الألوان بدقة عالية ونسبة كل منها في مساحة الواجهة، **(4)- المواد ونسب مساحاتها:** والتي يمكن استعمالها، وتلك التي ستمنع، في إنجاز الواجهات في اتساق تام مع الجو اللوني المتوافق عليه، **(5)- طبيعة الغراسات:** التي يمكن توظيفها في الشارع وكثافتها وارتفاعها، وجملة التغيرات التي تطرأ عليها خلال الفصول المتعاقبة، في تناسب وتناسق مع البنايات والطابع المراد منحه للحيز... إلخ.

ويعتمد في هذا التمشي على مخابر بحث ومكاتب دراسات متخصصة في الجمالية العمرانية وبتجربة مؤكدة في المنهجية التشاركية، أو باعتماد الألعاب التفاعلية، وفي المقابل نقترح أن يقع تشريك كل الطاقات الجامعية المتخصصة والشابة من أبناء المدينة والبلدية في المشروع، وذلك في الاختصاصات المتصلة بالمشروع.

ج- مثال صيانة وإحياء قرية الزريبة العليا:

يستمد هذا المثال مرجعيته من مجلة التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية[109]، ويعتبر مثال الصيانة والإحياء وثيقة تقنية-قانونية ذات طابع إلزامي، ويقدم جملة من التوجهات والتدابير الهندسية، في صميمة تناسق عامة وفي أمثلة تفصيلية دقيقة، وذات قابلية عالية للتنفيذ على مدى زمني معين وفي إطار مشاريع وتدخلات للدولة والبلدية وكل الجهات ذات الصلة، من شأنها أن تمكن من صون القرية وإحيائها، فهو يترجم اختيارات صيانة التراث التاريخي في تعبيراته المادية والاجتماعية والاقتصادية والثقافية كوحدة عمرانية ويقدم منوال تصرف حضري ديناميكي للمجموعة (قرية أو مدينة أو حي...) في مختلف أبعاده، فالمثال ينظم بشكل تفصيلي (مبنى بمنى) مقتضيات الصيانة والهدم وإعادة البناء وكذلك إعادة تشكيل الأفضية العمرانية العمومية، ويحتوي بناء على ذلك على ترتيب فائق الدقة للبناءات والأفضية حسب درجة أهميتها المعمارية وجودة معالجتها وأصالتها، وذلك بهدف منحها حياة جديدة منسجمة مقتضيات الحياة الحضرية المعاصرة.

ونقترح في هذا السياق، وبناء على بحث سابق[110]، أن تستند صياغة وإنجاز المثال على مبادئ: التشاركية بما تشريك للسكان المحليين والشخصيات المصادر، والمحتوى المعرفي العالي الذي من شأنه أن يساهم في تنمية شاملة للبلدية والجهة بعيدا عن

---

[109] القانون عدد 35 لسنة 1994 مؤرخ في 24 فيفري 1994، **المتعلق بإصدار مجلة حماية التراث الأثري والتاريخي والفنون التقليدية.**

[110] الحلواني (ياسين)، **"وثيقة توجيهية لمثال صيانة وإحياء قرية الزريبة العليا (ولاية زغوان-الجمهورية التونسية)"**، ضمن المؤتمر الدولي الأول حول التراث المعماري والعمراني بمنطقة البحر الأبيض المتوسط: من أجل إحياء وتثمين التراث المتوسطي، تنظيم: وزارة الشؤون الثقافية والمعهد الوطني للتراث ومخبر الفنون والدراسات الثقافية التابع لجامعة تلمسان أبو بكر بلقايد بالمغرب الجزائري ومخبر التراث الثقافي واللغوي والأدبي التابع لجامعة غرداية بالجنوب الجزائري، فندق اللايكو- الحمامات، من 18 إلى 20 نوفمبر 2018.

الفلكلور والميل السياحيوي السطحي والهش، والبعد الوصلاتي ثلاثي الأبعاد بما هو تصور ثلاثي الأبعاد ديناميكي يحافظ على الخصوصيات المشهدية الأكثر تفرد وثراء والتي تتمتع بها قرية الزريبة العليا...ونقترح في هذا الصدد تحويل القرية إلى مدينة إنتاج سمعي بصري في شكل منتزه تاريخي وأثري بمعيش أصيل.

وهي تقع جنوب مدينة الزريبة حمام على مسافة لا تزيد عن ثلاثة كلم، وعلى مسافة 10 كلم من مدينة زغوان عاصمة ولايتها، وتبعد على تونس العاصمة حوالي 66 كلم جنوبا. وتتمتع القرية بتفرد طابعها المعماري والحضري وبمشهد عمراني ثري بالمناظر المميزة والوصلات المتنوعة وباندماج عال في بيئتها المباشرة والممتدة... وهو ما أهلها لاستقطاب تصوير العديد من الأعمال السينمائية والسمعية البصرية.

خاتمة:

لقد تبين من خلال نتائج مرحلية لمسار تحقيق استكشافي ميداني ثراء الموارد والمبادرات الإبداعية بتراب بلدية الزريبة ووجود مقومات هامة للإنخراط الفاعل والمتوازن لمدينة حمام الزريبة وترابها البلدي ضمن حوضرة تونس الكبرى والساحل، وذلك من خلال خصوصياتها الثقافية والطبيعية المميزة كتراب إبداعي منتج للمعرفة وللتجديد التكنولوجي والاجتماعي.

ولئن يعرض البحث في هذه الورقة مجموعة التوجهات والاقتراحات، للتفاعل والتحكيم، والتي من شأنها أن تدفع مسار هذا التراب الإبداعي، فإنه، أي البحث، يعمل على استكمال ملامح التحقيق وبلوغ مستوى الخارطة الإبداعية ببلدية الزريبة والعمل في الخطوات الموالية على المساهمة في تنزيل أحد أهم مكوناتها حيز التفعيل والتجريب الواقعي، وذلك من خلال مشروع الإرشادية البلدية التي سيقوم فريق البحث بتأطير تصميمها التشاركي مع السكان والمجتمع المدني والسلطة المحلية، فيما ينتظر فريق البحث موافقة صندوق التشجيع على الإبداع الأدبي والفني طلب تشجيع مشروع "عين البطرية عاصمة الفخار" كتظاهرة ثقافية وفنية وعلمية تستقبلها القرية حول منتج الفخار التراثي الذي تتميز به.

مراجع:

بي أو بي كونسلتينغ، **رسم خارطة الصناعات الإبداعية: دليل إرشادي**، ترجمة: ألما السالم، تنقيح: لين صنيح، لندن، منشورات المجلس الثقافي البريطاني، سلسلة الاقتصاد الإبداعي والثقافي، 2013.

زارعي (فوزي)، **"تأثير الحوضرة في المدن الصغيرة: مثال قلعة الأندلس بإقليم تونس"**، ضمن المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، عدد 143، 2016، ص39-70.

الطياشي (حسن)، **"السياسات الحضرية في الجمهورية التونسية"**، ضمن الظاهرة الحضرية في تونس، تونس، دار سيراس للنشر والمعهد الأعلى للتربية والتكوين المستمر، سلسلة مراجع، 1993، ص85-101.

الفازعي (الصديق)، **"دينامية المدن الصغيرة بإقليم التل الأعلى التونسي: مثال سيدي بورويس، الانتقال من مجرد محطة أرتال إلى مركز حضري"**، ضمن المجلة التونسية للعلوم الاجتماعية، عدد 128، 2004، ص51-82.

محمد يوسف (همت) وجودة (عبد الوهاب)، **"الصناعات الإبداعية وعائداتها الاقتصادية والاجتماعية والثقافية على المجتمع (رؤية مستقبلية)"**، ضمن مجلة علوم الإنسان والمجتمع، عدد 25، ديسمبر 2017، ص19-60.

BARAKAT (Ouafa) et BENDOU (Abdelaziz), "**Plan communal de développement: nouvelle approche de promotion d'une bonne gouvernance locale- Cas des communes de la province de Taroudant (Maroc)",** In Revue des Régions Arides, Numéro spécial : Actes des travaux du colloque international LOTH 2016: «Gouvernance et communication territoriale», Mahdia (Tunisie) 7, 8, 9 avril 2016, N°40, 2016, p115-124.

BELHEDI (Amor), **"Territoire, développement territorial, géo gouvernance",** In Actes des travaux du colloque international LOTH, «Gouvernance et communication territoriales», Mahdia (Tunisie), du 7 au 9 Avril 2016, Revue des Régions Arides, N°40, 2016, p3-15.

DISSART (Jean-Christophe), LALLAU (Benoît) et LOUBET (France), "**Développer les capacités Territoriales**", In Rapport: Vers l'égalité des territoires: Dynamiques, mesures, politiques, Dirigé par Eloi Laurent,Mayenne, Février 2013, p322-334.

Ministère de l'Equipement, de l'Habitat et de l'Aménagement du Territoire, Direction Générale de l'Aménagement du Territoire, **Schéma Directeur d'Aménagement du Territoire National, Etude Stratégique (Rapport Final),** DIRASSET-GROUPE HUIT-IPIG, 2007.

PECQUEUR (Bernard), **"Le développement territorial, une nouvelle approche des processus de développement pour les économies du sud",** Le territoire est mort. Vive les territoires! Paris, IRD, 2005, p295-316.

CHEIKROUHOU (Wiem), **"la créativité, levier de développement territorial et durable: cas de villes créatives de design de l'UNESCO",** In Créativité et interdisciplinarité, Actes du Cinquième Colloque International de l'Institut Supérieur des Arts et Métiers de Sfax, Octobre 2017, Sfax, ISAMS, 2018, p77-100.